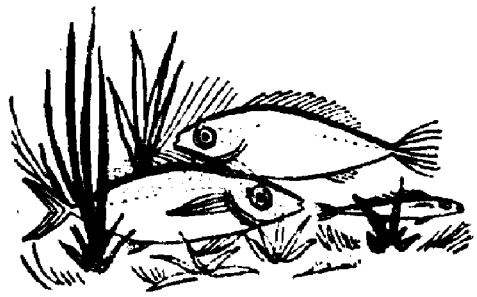

الفصل الثانى عشر

رحلة صيد فى البحر الاحمر

كتب لنا الدكتور محمد البابلى من كبار هواة صيد الأسماك هذا الوصف عن رحلة صيد فى البحر الأحمر ٠

قرأنا الكثير فى مجلات الصيد ، ورأينا فى (السينما) ، وسمعنا من الهواة عن الصيد فى أمريكا وخليج المكسيك وكثرته ، ولكن لا أظن أنه يوجد فى أية بقعة من بقاع البحار مثل البحر الأحمر وكمية الأسماك الكبيرة والصغيرة وتعدد أنواعها فيه واختلاف ألوانها وأشكالها ٠

بل انى أعتبر هذا البحر البكر جنة الصيد وموحى أحلامه ٠ ولا أبالغ لو نصحت بعدم الذهاب للصيد هناك ، فسوف لا يرتاح الهاوى الى غير هذا البحر ، ولن يتخذ له بديلا ٠ وربما زهد الصيد بعد الرحلة التى سأذكرها هنا :

« جمعتنا نحن الثلاثة ظروف غريبة كأنها خواطر وأفكار ، فكان حديثنا واحدا ، ورغباتنا واحدة ، واقتراحاتنا واحدة ، وقرارنا واحدا ٠

كنا نشكو كثرة العمل والمسئولية ، وكنا ننشد الراحة بعيدا عن المدينة والمدنية ، وقررنا أن نختلى بأنفسنا على جزيرة فى وسط البحر ليس فيها ما يقلق راحتنا ويعكر صفونا ولو لبضعة أيام ٠

ولا أطيل الشرح ٠ فقد قررنا أن نكون ضيوفا (ولو بالعافية) على فنارة جزيرة شدوان وموظفيها ، حيث نجد فيها تحقيقا لرغباتنا فلا تليفون ولا راديو ولا صحف ولا انسان غيرنا ، ولا يمكن الاتصال بخارج الجزيرة بأى حال الا عند مرور طوافة الموانى والمنائر لتغذية الجزيرة بالماء العذب والمأكولات الطازجة ٠

أما كيف وصلنا الى هذه الجزيرة ، فهذه رحلة تحتاج الى شرح طويل ولكن فى كلمتين وصلنا بعد رحلة ممتعة طريفة ، طريفة فى نوعها ،

خصوصا لمن تعود سفر البحر ، فلم تكن مثل رحلات أوربا اذ كان كل من فيها من مصريين موظفين ومسافرين ولم نسمع كلمة أو لغة أجنبية ٠

ووصلنا جزيرة شدوان عند شروق الشمس ، وانتقلنا من الباخرة بفلوكة صغيرة ، ثم صعدنا درجا عاليا ، حتى وصلنا الى فناء بناء المنارة الضـــخمة ، الذى كان يبـدو لنا من دقائق صغيرا وكأنه لعبة أطفال وضعت على ربوة ٠

كان استقبالنا رائعا حقا ، والاستعداد له تام ، وبعد فترة قصيرة غادرتنا الطوافة فى هذه الجزيرة القاحلة إلتى لا ولن ينبت فيها نبات ٠ مساحتها نحو عشرين ميلا مربعا ، وليس بها من مخلوقات الله سوى حضرات موظفى المنارة ، وهم ثلاثة يسكنون فى البناء الوحيد بالجزيرة وهى مبنى المنارة ٠

كان عبد الحليم افندى كبير هؤلاء الموظفين الثلاثة قد ســـمع عن فكرتنا وعن مجيئنا وكنا من جانبنا قد اخترنا الوقت الذى يكون هو فيه موجودا بالمنارة لأنه من أعلم النـــاس بالبحر الأحمر ، وأكثرهم دراية بالصيد فيه ، بل انه ليعتبر حجة فى هذا الفن ٠

بدأنا عبد الحليم بقوله : « حيث انكم قد جئتم من أجل الصيد ، وليس عندنا ما يشغلنا فهلموا بنا الى الصيد » ٠

ثم عاين ما أحضرناه من الأدوات وقد كان كثيرا وقيمـــا « من خيوط (وماكينات » وبوص » ثم ابتسم وقال : « كل هذه الأدوات ليس لها أية قيمة عملية هنا ٠ هى تنفع لو كان الصيد فى فلوكه ٠ ولكن العمق أمامنا مائتان وخمسون قامة (حوالى خمسمائة متر) والصـــيد فى فلوكة غير مستطاع لأنه يوجد هنا سمك كبير وكبير جدا ، والتيار شديد حول الجزيرة وبدلا من أن يشد الصياد سمكة قد تشد السمكة الصياد ٠٠ »

فأسقط فى يدنا ، ولـــكنه ما رأى حيرتنا حتى استأنف حديثه قائلا : « لكن الصيد ميسور وبطريقة بسيطة سأطلعكم عليها ٠ وممكن صيد جميع أنواع السمك ٠٠ »

ولابد لى هنا أن أقف لأصف الجزء من الجزيرة الذى سنصـــطاد منه ، فهذه الجزيرة بركانية ليس لها شواطىء ، بل هى قطعة من الصخر بارزة على سطح الماء ، يحف بها حاجز من الصخور المرجانية بشكل زف

ينخفض عن سطح الماء بمقدار متر ، يمتد نحـــو ٢٠ مترا من الجزيرة وقد أقامت مصلحة الموانى والمنائر فوق هذا الحاجز أمام مبنى المنارة سقالة ارتفاعها مترا ن فوق سطح الماء تبدأ فى أول الجرف وتنتهى عند آخر الجرف المرجانى . واذا وقف الانسان على هذه السقالة يرى الماء رائقا صافيا لدرجة أن البصر يستطيع أن يخترق الماء الى ١٠ أمتـار على الأقل .

ولو وقع دبوس صـــغير فوق الحاجز المرجانى لأمكن رؤيتـــه بسهولة .

لذلك يمكن للانسان أن يجلس على هـــذه الســقالة ويمتع نفسه بالنظر الى مخلوقات البحار ، مما لم تره عين ، أشكالا وأحجاما وألوانا .

والآن وقد وصفت موضع الصيد وهو السقالة وصـفا اجماليا ، فلنرجع الى حديث الصيد نفسه .

يحتاج الصـــيد طبعا الى طعم ولم يكن عندنا منه شيء لأن ما أحضرناه معنا من الســـويس فسد فى الطريق . وكدنا نيأس ، ولكن عبد الحليم هون علينا الأمر وهبط الى الجرف ومعه عصا فى طرفهـــا مسمار مدبب ، وحمل على ظهره شوالا واذا به يعود الينا وقد أحضر كمية وافرة من سرطان البحر (أبو جلمبو) فأخذ يقطع أوصالها ويخرج عضلاتها ومن هذه العضلات يتخذ طعما ليصطاد سمكا صغيرا ، ليستعمل هذا السمك الصغير بدوره طعما لصيد الأسماك الكبيرة .

وفعلا انتظر حتى مر نوع من السمك الصغير ذى لون أزرق زاه كأنه بقع الحبر على بساط أبيض ، وأخرج واحدة من هذه الأسماك ، ثم وضعها فى سنارة كبيرة وقذفها الى الماء بما يسمى بالحداف قائلا « أنظروا ماذا سيبرز للقاء هذا الطعم المغرى » .

وفعلا كان هذا الطعم كأنه السحر ، وما كاد يصل الى المياه العميقة حتى برز له قطيع من الأسماك الكبيرة من الصنف المســـمى بالبياض لا يقل وزن الواحدة منه عن عشر أقات . وعلقت واحدة بالسنارة الكبيرة اذ التهمت الطعم فى نهم ، فأخرجها عبد الحليم من المـاء دون جهـــد أو اجهاد .

وقال عبد الحليم هذا هو الصيد هنا .. بالحداف .. وبهـــذه الطريقة يمكن الصيد طيلة اليوم ، ولا تفلت سمكة واحدة ، اللهم الا اذا

علقت بالسنارة سمكة كبيرة جدا كما يحصل فى بعض الأحيان ، وفى هذه الحالة تتمكن من قطع الخيط وتهرب ..

وقد اتبعنا هذه الطريقة واصطدنا الشيء الكثير بأسرع وقت وبأسهل الطرق .

وبهذه الطريقة ، وباختلاف فقط فى نوع الخيط وتخانته حصلنا على اسماك هائلة الحجم . ومنها ما يسمى بالوحش أو القرش . وقد إخرجناه من الماء بعد ضربه بالرصاص وهو عالق بالسنارة لكبر حجمه (وكان وزنه مائتى اقة) . وقد فتحنا بطن احدى هذه الأسماك فوجدنا بها خمسة أجنة كل منها فى كيس ، وكل له حبل سرى كأنه طفل صغير .

ولو أردنا صيد مائة من هذه الوحوش يوميا لكان من أسهل الأمور . وما على الانسان الا أن يلقى طعما به دم وسوف لا ينتظر أكثر من بضع دقائق ويراه قادما منجذبا نحو الدم ، ولما كان الماء رائقا صافيا فانك تراه بعينيك وهو يأكل الطعم . وقد ثبت لنا أن الوحش لا ينقلب على ظهره ليلتهم شيئا كما هو شائع لدى الناس .

وقد أخرجنا الوحش الكبير الذى اصطدناه بطريق الشد العنيف قمنا به ستة من الأشخاص مثل فرقة شد الحبل : حتى كلت أيدينا من الشد ، خصوصا وقد استعملنا فى صيده حبلا من نوع حبل المانيلا سمك بوصتين ، وسنارة مسلسلة من الصلب طولها متر صنعت خصيصا لصيده وقد استعملنا طعما له قطعة من ثعبان البحر قطره عشرون سنتيمترا .

ومضت الأيام الأربعة المحددة لاقامتنا بالجزيرة وعادت الطوافة لتأخذنا الى السويس وكان هذه الرحلة لم تستغرق سوى لحظات ، لما استمتعنا به وتنزهنا ، ولم نشعر أننا مللنا الوحدة أو تشوقنا لمعرفة أخبار العالم . ولاتزال اللحظات السعيدة التى قضيناها هناك مرسومة فى مخيلتى ، يحن اليها القلب كلما فكر فى أجازة ، واستعرض وسائل قضائها حيث يتمتع بجودة الهواء ولذة الصيد وأى صيد ..